

البرهان في أصول الفقه

القول في العلوم ومداركها وأدلتها .

36 - الوجه تصدير الباب بقول مقنع في العقل فإننا سنسند حقائق العلوم إلى مدارك العقل ولا بد من الإحاطة بحقيقته على حسب ما يليق بهذا المختصر .
قال القاضي أبو بكر C العقل من العلوم إذ لا يتصف بالعقل خال عن العلوم كلها وليس من العلوم النظرية فإن النظر لا يقع ابتداءً إلا مسبقاً بالعقل فانحصر في العلوم الضرورية وليس كلها فإنه قد يخلو عن العلوم بالمحسوسات من اختلت عليه حواسه وإن كان على كمال من عقله ثم لم يزل يبحث حتى قال العقل علوم ضرورية لا يخلو عنها المتصف بالعقل ولا يتصف بها من لا يتصف بالعقل ثم سبر على ما زعم واستبان أن العقل علوم ضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ولا يتصف بهذه الفنون إلا عاقل كما لا يتصف بها من ليس بعاقل فهذا لباب كلامه بعد تطويل وإطناب .

والذي ذكره C فيه نظر فإنه بنى كلامه على أن العقل من العلوم الضرورية لأنه لا يتصف بالعقل عار من العلوم كلها وهذا يرد عليه أنه لا يمتنع كون العقل مشروطاً بعلوم وإن لم يكن منها وهذا سبيل كل شرط ومشروط .
فإن قيل ما الذي يبطل ما ذكره القاضي C في معنى العقل قلنا نرى العاقل يذهل عن الفكر في الجواز والإستحالة وهو عاقل .

37 - فإن قيل فما العقل عندكم قلنا ليس الكلام فيه بالهين وما حوم عليه أحد من

علمائنا غير الحارث بن أسد المحاسبي C